

شيخ المضيرة أبو هريرة

[82] هذا ما كان يظنه عمر في أبي هريرة ويرجوه عندما استعمله على البحرين وما كان عمر ليعلم الغيب، فقد خاب ظنه، ولم يتحقق رجاؤه - إذ ما كاد أبو هريرة يتولى أمر هذه البلاد الغنية بخيراتها حتى غلبته شنشنته، وانطلقت من عقالها مطامعه، فأرصد كل قوته لجمع المال وابتغاء الثراء ما وجد إلى ذلك سبيلا، وأنساه حب المال ذكر عمر وصرامته ودرته، وأنه يقف وراءه بالمرصاد يترقب الصغير والكبير من أعماله. ولقد كان أول ما انتهى إلى عمر من أخباره، أنه ابتاع أفراسا بألف وستمئة دينار! فهاله ما سمع! ولما استقدمه من البحرين - أتاه يحمل أربعين ألف درهم لبيت المال، وعشرين ألفا لنفسه فدهش عمر كيف يجبي من الناس كل هذه المبالغ الطائلة! ولم يملك إلا أن فاجأ أبا هريرة بقوله: أسرقت مال الله؟ إنك عدو الله وعدو المسلمين! وعندما سأله عن المال الذي أصابه لنفسه، ومن أين أتى به، أجابه بجواب غريب لا يصدر من وال أمين! إذ قال: كنت أتمر! وكانت لنا أفراس تنتاجت (1) فلم يجد عمر من حيلة معه إلا أن يشاطره هذا المال، وكانت هذه سنة عمر في الولاة الذين يخونون الأمانة في ولاياتهم، ولم يكتف بذلك مع أبي هريرة - كما كان يفعل مع غيره، بل أوجع ظهره بدرته حتى أدماه، ثم أخذ يلذعه بموجع القول وقوارص الكلم، مما لا يوجه مثله إلا إلى رجل مهين فقد قال له: هل علمت من حين استعملتك على البحرين، وأنت بلا نعلين! ولما طلب منه المال الذي استولى عليه من الناس ظلما بغير حق - وأجاب أبو هريرة: لقد احتسته عند الله! رد عليه عمر هذا الرد اللين فقال له: ذلك لو أخذته من حلال! أي أن هذا المال كان من المال الحرام! وقوله له: أجنث من أقصى حجر يجبي الناس لك، لا والله للمسلمين! ما رجعت بك أميمة إلا لرعية الحمير (2). وماذا بعد أن يرميه بسرقة مال الله أو أنه عدو الله وعدو للمسلمين! _____ (1) رواية الذهبي: خيل نتجت وغلة رقيق لى ص 440 ج 2 سير أعلام النبلاء. (2) تقدم معنى هذه العبارة في هامش رقم 1 ص 880 فراجع. (*)